

الفصل الثاني

القيم العسكرية (قيم السلم والحرب)

- ١ - المبحث الأول (الشجاعة).
- ٢ - المبحث الثاني (الفروسية).
- ٣ - المبحث الثالث (الجهاد).
- ٤ - المبحث الرابع (اقتحام الأهوال).
- ٥ - المبحث الخامس (العفو عند المقدرة).
- ٦ - المبحث السادس (السباحة).

obeikandi.com

(الشجاعة)

- ١ - مفهوم الشجاعة.
- ٢ - شروطها.
- ٣ - بواعثها.
- ٤ - مظاهرها.

obeikandi.com

١ - مفهوم الشجاعة :-

الشجاعة شدة القلب في اليأس. وتَشَجَّعَ الرجلُ أظهر ذلك من نفسه، وتكلَّفه وليسَ به، وشَجَّعُهُ جَعَلَهُ شُجاعاً أو قَوَّى قَلْبَهُ^(١). وقد حَثَّ الإسلامُ^(٢) على تلك السجية لنيل الجزاء ورغبة في رضا الله.

والشجاعة (الإقدامُ على المكاره والمهالك عند الحاجة، وثبات الجأش عند المخاوف والاستهانة بالموت)^(٣).

وهناك إيضاحات عن الشجاعة ذكرها الشعراء في نظمهم ومن المفيد أن نوفي بها المقام حقه من العناية والاهتمام.

ومن المعلوم أن الجهاد ضد اسبانيا النصرانية في عصرى ملوك الطوائف والمرابطين قد ترك أثراً كبيراً في إنتاج الأندلس الفكرى، ولا سيَّما إنتاجها الأدبى الرفيع.

وقد صَوَّرَ الشعراء معانى الشجاعة في ممدوحيتهم فالأمير شجاع إذا بارز خصمه، أقبل عليهم الخصم متهمياً متردداً وأدبر عنه هارباً فاراً. قال ابن زيدون^(٤):

أرى الدهر: إن يَبْطِشَ فأنتَ يَمِينُهُ وإن تَضْحَكِ الدُّنْيَا فأنتَ لَهَا ثَغْرُ
هَمَامُ إذا لَاقَى المُنَاجِزَ رَدَّهُ وإِقْبَالُهُ خَطْوُ، وإِدْبَارُهُ حُضْرُ

(١) انظر اللسان: باب الشين مادة (شجع).

(٢) انظر الفتح: ١٥، التوبة (١٣ - ١٥) الصف: ٤، ١١، الانفال: ٩.

(٣) يحيى بن عدى: تهذيب الأخلاق: ص ٢٩.

(٤) الديوان: ص ٥٧٥.

(*) المناجزة: المبارز في ميدان القتال. (**) الحضر والاحضار: ارتفاع الفرس في جريه.

ومما لاشك فيه عاش الأندلس دواءة القلق الدائم على الحياة ومصادر العيش لذا كان على استعداد دائم للدفاع عن البلاد والحياة - فللشجاعة على هذا الأساس أهمية كبرى في صنع مصير الفرد والجماعة لذا وجدهم الأعمى التطليلي شجعاناً صناديد عند الحرب أما في السلم فهم كرماء أسخياء.

وَلَمْ تَرَ إِلَّا عَائِراً بِدُمَائِهِ يَحَازِرُ كُلَّمَا أَوْ يَدَافِعُ عَنْ كَلِمٍ^(١)
يرى الموتَ دونَ المجدِ غُثْمًا مِنَ الْغُثْمِ ولا حصنَ إلا السيفُ في يد ماجدٍ
كَأَسَدٍ الشَّرِيِّ فِي الْحَرْبِ كَالْمَزْنِ فِي بهاليلُ أبطلُ ججاجُ سادةُ
رَأَيْتَ الْأَسْوَدَ الضَّارِيَاتِ عَلَى الْعُصْمِ إذا ركبوا الجُرْدَ الجِيَادَ إِلَى الْوَغَى

ولعل هذه الأبيات تبين لنا كيف تكون الشجاعة الحربية والغيرة على المحارم^(٢).

كَأَنَّكَ حَرَمْتَ الْحَيَاةَ عَلَيْهِمْ غداة الوغى لما استحلوا المحارما
فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ بَقِيَّةُ لقد عادتِ الأعراسُ فيهم مآتما

٢ - شروطها*:-

لقد عشق مسلمو الأندلس الشجاعة ولم يأت إقدامهم من كونهم أمة أحببت الاعتداء والشر لا بل لكونها أمة أحببت الخير والسلام وسعت إلى تثبيت كيائها من خلال مواجهتها للأعداء الذميين. فالشجاعة عندهم كانت واضحة في الرد على الاعتداء في سبيل العز والكرامة والوجود، وشئائهم تشهد على ذلك بأفواه شعرائهم قال ابن حصن الأشبيلي^(٣):-

(١) انظر الديوان : ص ١٧٧ - ١٧٨ ، وينظر سامي أحمد الموصلي: دراسات أندلسية: ص ٨٧ ط / ١ / ١٩٧٠ . وانظر نظيره في شعر ابن الحداد: ص ٤٧ وديوان ابن الزقاق البنسني ص ٩٥ ، ١٨٤ ، ٢٦٦ .

(٢) انظر ديوان ابن حمد يس: ص ٤٢٦ - ٤٢٧ ، وانظر نظيره في ديوان ابن زيدون: ص ٤١١ .

(*) انظر شروط الشجاعة في ديوان المعاني: ج ١ ص ١١٢ لأبي هلال العسكري .

(٣) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٨٢ .

همُ القوم طابوا أبطناً وعمائراً وطابوا شعوباً قبولت وقبائلاً
ضراغمُ آجام تهبُ لدى الوغى شمائلهم فى المأزقين شمائلاً
فما حملوا إلاً بنصرٍ حمائلاً ولا أعلنوا إلاً بنجحٍ عواملاً

ومن شروط الشجاعة التقدم مع الظفر فى ذلك قال المعتمد^(١) بن عباد:-

ياضيغماً يقتل الأبطال مفترساً لا توهنتى، فإنى الثأب والظفر

وترنم فيه أبو بكر محمد^(٢) بن أحمد الإنصارى المشهور بالأبيض (ت ٥٢٥ هـ).

تَعَشَّقَ الدَّرْعَ إِذْ شُدَّتْ لِفَائِقَةٍ وَأَنْكَرَ الْمَهْدَ لِمَا عَايَنَ الْفَرَسَا
بَشَّرَ قِبَائِلَ مَعْنٍ أَنَّ سَيِّدَهَا قَدْ أَثْمَرَ الْمُلْكَ بِالْمَجْدِ الَّذِى غَرَسَا
وفى حمد مغبة الإقدام مع احتمال أشد الآلام بشجاعة وصبر وثبات، قال عبد الله بن محمد* القطار^(٣):-

إِذَا تَسَعَّرَتْ الْهَيْجَاءُ أَخْمَدَهَا مَا فِى مَعَاطِفِهَا مِنْ نَدْوَةِ الْعَرَقِ
هِيَ الْبَحُورُ وَلَكِنْ فِى كَوَائِبِهَا عِنْدَ الْكُرْهِىَةِ مِنْجَاةٌ مِنَ الْعَرَقِ

أما فى رباطة الجأش التى تقوم أساساً على ضبط النفس عند مواجهة الخطر، مع سكون القلب وحضور اللب، وقطع دابر الشر، على هذا السياق يقول أبو بكر الصيرفى^(٤):-

(١) الديوان : ص ١٠١.

(٢) المغرب: ص ١٢٧ - ١٢٨ ترجمة ٤٤٢ تحقيق الدكتور شوقى ضيف.

(*) الأبيض شاعر هجاء، ولع بهجاء الزبير المثلث صاحب قرطبة.

(٣) انظر الحماسة المغربية: ج ٢ ص ١١٦٣. * (كان فى مدة ملوك الطوائف، اهيجاء: الحرب. والمعاطف:

الأعضاء. الكوائب: جمع الكائبة وهو من الفرس قدام السرج، وانظر الذخيرة: ق ٤ م ١ ص ٣٧٩).

(٤) ديوان المعانى: ج ١ ص ١١٢ - وانظر الحماسة المغربية ج ٢ ص ١١٦٢. ونظيره فى لسان الدين بن

الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١١ - ٢٦٣ تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى وأحمد ابراهيم الكتانى -

دار الكتاب، الدار البيضاء: ١٩٦٤ م.

يا أشجع الأبطال ليلة أمسه واليوم أنتَ مع التجارب أشجعُ
أهديك من أدب الوغى حلماً بها كانت ملوك الحرب مثلما تولع
واحذر رد مين الروم عند لقائها وامضى كمينك خلفها أذ تدفع
لا تبقي النهر خلفك عندما تلقى العدو فشره متوقع

ومن شروط الشجاعة إرهاب الأعداء وإشاعة الذعر والخوف في نفوسهم
لتفرقة صفوفهم^(١).

إذا ثار حرك أثوابها ليسوا بأنكاس ولا عُزل
وفي تصعيد درجة الرعب، مع تجريعهم ألوان العذاب يقول^(٢) الأعمى
التطليلى:-

تَسْرَبُلُوا لِلْحَرْبِ أَثْوَابُهَا ليسوا بأنكاس ولا عُزل
وَأُورِدُوا أَعْدَاءَهُمْ مَوْرِدًا رَنَقًا مِنَ الْغَلَسَيْنِ وَالْمُهْلِ
وفي التغلب على الصعوبات والأفكار التي تتجاوز المعتاد يقول ابن الزقاق
البلنسى^(٣):-

لو كنتَ شاهده وقد غَشَّ الوغى يختالُ في ضافى الحديد المسيل
لرأيت منه والحسامُ بكفه بحرأ يريق دمَ الكماةِ بجدولٍ

أما محمد بن سعيد بن ياسر العنسى (ت ٥٣٩ هـ) فقد جمع بين شرط الثبات في
ساحة المنازلة وبين لطف الكرم قائلاً^(٤):-

(١) ديوان المعتمد بن عباد: ٢٩٧ تحقيق رضا السويس.

(٢) الديوان: ص ١٢١.

(٣) الديوان: ص ٢٤٨ وانظر ديوان ابن خفاجة في الشجاعة: ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) انظر الأحاطة: ج ٣ ص ٢١٧.

فَخَرْنَا بِالْحَدِيثِ بَعْدَ الْقَدِيمِ مِنْ مَعَالِ عَذُوبَةِ تَوَارِثِ كَالنَّجُومِ
نَحْنُ فِي الْحَرْبِ أَجْيَلُ رَاسِيَاتِ وَلَنَا فِي النَّدَى لُطْفُ النَّسِيمِ
وَعَلَوَ الْهَمَّةُ وَالْعِزُّ وَالطَّمُوحُ شَرَطُ أُسَاسِي فِي الشَّجَاعَةِ الَّتِي أَكَّدَهَا مُحَمَّدُ بْنُ
عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِزْمَانٍ (ت ٥٥٥ هـ).

لِي هِمَّةٌ وَلِأَهْلِ الْعِزِّ مَطْمَحُهَا لَا زِلْتُ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ مَطْمَحِ الْهِمِّ^(١)
وَالشَّجَاعَةُ الْحَقَّةُ تَقُومُ عَلَى التَّجَرُّوِّ وَالْفُطْنَةِ دُونَ تَهَوُّرٍ مَعَ تَجَنُّبِ الْخَطَرِ الَّذِي لَا
دَاعِيَ لَهُ قَالَ ابْنُ حَمْدِيسٍ^(٢):-

هَمَامٌ صَرِيحُ الْعِزِّ سَلَّ سَيُوفَهُ فَذَبَّتْ ضَرْباً عَنْ خَدُورِ الْمُحَارِمِ
تَلَوُذُ الْمَنَايَا مِنْهُ، وَالْدُّهْرُ عَبَاسُ بِأَرْوَعٍ مِنْ ثَغْرِ الرِّئَاسَةِ بِاسْمِ
وَقَدْ تُحَدِّثُوا عَلَى الشَّجَاعَةِ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَقُوا أُسَاسًا لِلْحَرْبِ وَتَمَرَّسُوا عَلَى سَحْقِ
الْجَمَاحِمِ^(٣):-

زَيَانِيَّةٌ خَلَقُوا لِلْحُرُوبِ يَشْبُونَ نِيرَانَهَا بِالْوَقُودِ
مَسَاعِرُهُمْ مَرَهَفَاتُ بَنِينَ لِهَذَا الْجَمَاحِمِ مِنْ عَهْدِ هُودِ
هُمْ الْمَخْرُجُونَ خَبَايَا الْجَسُومِ إِذَا ضَرَبُوا بِخَبَايَا الْغَمُودِ

وَلَمَّا كَانَتِ الشَّجَاعَةُ أُسَاسَ الْفَضَائِلِ فَهِيَ كَالْمَوْهَبَةِ أَوْ الطَّبْعِ لِمَنْ تَحَلَّى بِهَا فَإِنَّ
وَهْبُونَ مَلِكِ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ فَضْلاً عَنِ الشَّعْرِ مَوْضِعاً أَنَّ سَمِيرَةَ السِّيفِ
وَالْكِتَابِ، فَطَمُوحُهُ وَشَخْصِيَّتُهُ الْإِيَّةُ هِيَ أَيْ هَذَا الْمَرْكَزُ الْمَرْمُوقُ. بَعْدَ انْسِجَامِ
الطَّمُوحِ مَعَ الْقِيَمِ.

(١) المصدر نفسه: ج ٢ ص - وأنظر نظيره في ديوان ابن خفاجة الأندلسي: ص ٢٢٩.

(٢) الديوان: ص ٤٤٦، وانظر أبياته في الشجاعة ص ١١ (متن الديوان) و ص ٢٢٦، ٢٣٠، ٣٣٤، ٣١٨،
٤٤٦، ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٧ (مقدمة الديوان).

وليس نديمى غير أبيض صارم
ومن لم يخضب رُمحَهُ فى عداته
وليس سميرى غير شخص كتاب^(١)
ومن لم يُجلّ السيفَ من تُهمّ العدا
وتساوت به فى الحى ذات خضاب
ويبرز الصبر والصمود على مكاره الحرب فى مقدمة الشروط وفى ذلك يقول ابن
حمد يس مادحاً المعتمد بن عباد^(٢):-

وكَلَّمَا عَقَدَ الرّايَاتِ معْتزِماً
شَهُمُ صَبُورٍ إِذَا مَا لَقُومُ زاحِمةُ
حَلَّتْ أَيادِيهِ مِنْ أرائِهِ عُقْداً
يَسْهُو بَعْضِهِ إِذَا مَا هَزَّ مَضْرِبُهُ
مُزاحِماً فى كَفاحِ ظَنِّهِ أَحْداً
ويقول ابن خفاجة فى اليقين وإحراز النصر به^(٣):-

فَعَنَانُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْغَرَاءِ فى
بَطْلُ جَرَى الْفَلَكِ الْمُحِيطِ بِسَرَجِهِ
تَذِيرُ ذَاكَ الْفَارَسِ الْبَغَوَارِ
صَحْبَ الْحَسَامِ النَّصْرِ صُحْبَةَ غَيْظِهِ
وَاسْتَلَّ صَارِمُهُ يَدَ الْمُقَدَّارِ
ففى كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَّارِ
ناهيك عن سلامة الرأى (والعقل فى الشجاعة)^(٤) فى الملمات وقد تجلت هذه
الصفة عند ابن زيدون^(٥) وهى من الصفات التى يعتد بها العرب ومثلهم الشاعر
محمد بن^(٦) عمر بن المنذر أبو الوليد (ت ٥٠٨ هـ) يقول:-

شهماً إذا دجت الخطوب تبَلَّجت
لعقولنا الأقمارُ من لألائه

(١) شعر ابن وهبون المرسى: ص ٩٥ (سمر صبحى).

(٢) الديوان: ص ١٧٠ - ١٧١ وانظر نظيره روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ديوان الجزار السرقسطى: ص ١٢٧ فى الغرض نفسه.

(٣) الديوان: ص ٣٧.

(٤) القيم الجمالية فى شعر الأخطل: رسالة ماجستير، ص ٤١.

(٥) انظر ابن زيدون ورسائله: ص ٤٢٠ - ٤٢١ بحث راشيل اربه.

(٦) الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢١٠ ترجمة ١٤٣.

شِيمُ كَأَزْهَارِ الرَّيِّعِ وَرَاءَهَا هِمَمٌ تَحْطُّ النُّجْمُ مِنْ غُلُوَاهَا

٢ - بَوَاعِثُهَا

وقد يحث الخطيب على الشجاعة بأن يرغب السامعين في حصول المحبوب إذا كان شريفاً جليلاً كما قال ابن عمار^(١) يغري أهل بلنسية على أبي بكر بن عبد العزيز وبنيه.

خَيْرُ بِلَنَسِيَّةٍ وَكَانَتْ جَنَّةً أَنْ قَدْ تَدَلَّتْ فِي سَوَاءِ النَّارِ
جَارُوا بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُمْ جَرَّوْا إِلَيْكُمْ أَسْوَأَ الْأَقْدَارِ
ثَوَّرُوا بِهِمْ مَتَأُولِينَ وَقَلَدُوا مُلْكاً يَقُومُ عَلَى الْعَدُوِّ بَثَارِ
نَكَثَ الْيَمِينِ وَحَادَ عَنْ سَنَنِ الْعِلَا وَقَضَى عَلَى الْأَقْبَالِ بِالْأَدْبَارِ
ومنهم من أثبت شجاعة^(٢) في هجاء الملوك والأمراء كما فعل السميسر في هجائه لعبد الله بن بلقين حفيد باديس بن جبوس. قال السميسر وحق من حصلني في يدك ما قلت شرافيك وإنها قلت^(٣):-

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
إِنَّ الْبَرَابَرَ تَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذْ نَ حَوَاءَ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا
والشجاعة من العوامل الباعثة على الغزو حتى في الأشهر الحرم (التي حُرِّمَ فيها القتال)* قال ابن بقي القرطبي (ت ٥٤٢هـ)^(٤).

(١) انظر ديوان ابن عمار: ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) انظر مجلة بحوث جامعة حلب، ص ١٣٠ ع ٩ لسنة ١٩٨٦.

(٣) السميسر اللبيري حياته وشعره: ص ٢٩٩ قطعة ٤٥ جمع محمد شهاب: مجلة آداب المستنصرية ع ٢٦٤ لسنة ١٩٩٥، وللزيد عن الشجاعة انظر ديوان المعتمد بن عباد ص ١٠١ - ١٠٥ - ١١٦ - ١٥٠ - ١٦٠ - ١٨٠، ونظيره في ديوان ابن الزقاق البلنسي ص ٩٥، ١٨٤، ٢٦٦، تحقيق عفيفة محمود ديراني.

(*) وربما كانت الشجاعة رداً للعدوان والغدر في الأشهر الحرم.

(٤) ابن بقي حياته وشعره، د. محمد مجيد السعيد: ص ١٤٨ م ٧ ع ١ لسنة ١٩٧٨.

أَيْنَ الرَّجَا وَالْعُلَا مِنْ حَازِمٍ يَقِظُ يَغْزُو أَعَادِيهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

وربما كان البغى باعثاً على الشجاعة فإن بغت طائفة أو قبيلة، حوربت واستؤصل بغيتها بالسيوف، يقول أبو العرب الصقلي (ت ٥٠٧) (١).

وإن أغشبت بالبغى هام قبيلة أسمنأ بها ييضاً رفاق المضارب
لعمري لقد سار الزمان لفخرنا إلى غاية تنأى على كل طالب

وقد يكون باعث على الشجاعة العشق فكثير من العشاق يركبون الأهوال فى طلب المعشوق (٢). وهنا يحسن بنا أن نعرض لنوع من الشجاعة الأدبية وربما تكون باعثاً من بواعث الشجاعة الحربية ما يظهر منها فى ثوب الضحية بالمنفعة الخاصة بل بالذات أحياناً، وهو دليل قاطع على الطباع النبيلة والأخلاق الفاضلة الكريمة.

وتبرز مهمة الشاعر فى التذكير بإضى الأمة المجيد ووصف سلوك هؤلاء الملوك الذين تمسكوا بالقيم وشهامة أبطال المسلمين وتجسيدهم لأحلام الأمة ومثلها. ومنهم من تفاعل مع الأحداث الدامية فى صقلية. فقد دعاهم فى قصيدته أن ينفصوا النوم عنهم وأن يوجهوا خيولهم نحو المعركة، ضد الروم دفاعاً عن الوطن وسلامته.

دعوا النوم إنى خائف أن تدوسكم دواة (٣)، وأنتم فى الأمانى مع الحلم.

فرّدوا وجوه الخيل نحو كريمة مصرّحة فى الروم بالثكل واليثم
وصولوا ببيض فى العجاج كأنها يروق بضرب الهام محمرة السّجّم

(١) الحماسة المغربية: ج١ ص ٧٧٧. وترجم له ابن بسام فى الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ٣٠١-٣٠٨. ولم يرد هذان البيتان فيه.

(٢) انظر على سبيل المثال ديوان ابن الزقاق البنسى ص ٤٧، الاعمى التطلّى: ص ٨٦.

(*) وربما كانت الشجاعة رداً للعدوان والغدر فى الأشهر الحرم.

(٣) انظر ديوان ابن حمد يس الصقلي: ص ٤١٦.

أما بواعث الشجاعة المعنوية فيمن بلغ من الرجال والنساء أرقى درجات الإنسانية، هي الشجاعة التي تدعو صاحبها إلى قول الحق والسعى وراءه وتوحي إليه أن يكون عادة أميناً مخالفاً لهوى النفس. فالرجل (إذا قوى ضميره - ظهرت عليه معالم الشجاعة)^(١). ولم تكن وقفاً على الرجال دون النساء فما أكثر من وقفت منهن مواقف حربية تهيض عزائم الأبطال وخضن أعظم المواقع وحضرن أشد الزحف خطراً، ما بين مقاتلات وخطيبات وشاعرات ومؤديات ومؤدبات صبيان^(٢)، وكاتبات وقاضيات يتفاضلن (بالتفاضل اللازم للمخلوقات)^(٣) وعن طريق عزيمتهن ما يثير الإعجاب شجاعتهن الأدبية، من ذلك ردّ ولادة على ابن زيدون فكان أشجع جواب قيل في مقامه. ناهيك عن^(٤) مهجة القرطبية.

ولا نعلم في تاريخ صفحات الاندلسيين أروع وأملأ بالشجاعة الأدبية المتمثلة بالإنسانية من أصحاب الهمم العالية والطباع السامية أشجع من شعراء عصر ملوك الطوائف والمرابطين.

وتحدث الشعراء في أشعارهم عن شجاعة الفرسان في الحرب وفي الدفاع والهجوم والاستعداد لكل اعتداء غاشم عليهم، ولا نستطيع تجاوز ميدان الحرب والملوك والامراء الذين مثلوا أسمى فضائل الشجاعة وما فاضت به نفوسهم من النبل ما يملأ النفس جلالاً وعظمة. يقول خلف بن هارون القبطي^(٥):

يَخُوضُ إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرَمَاتِ؛ بَحَارَ الْخَطُوبِ وَأَهْوَالِهَا
وإنْ ذُكِرَتْ لِلْعَلَا غَايَةً تَرْقَى إِلَيْهَا وَأَهْوَى لَهَا

(١) الخلق الكامل: ج ٢ ص ٦٥.

(٢) ابن حزم الاندلسي: طوق الحمامة في الألفة والالاف: ص ٩٥.

(٣) ص ١٣٤ حققه وقدم له صلاح الدين القاسمي/ تونس/ دار سلامة.

(٤) المرأة في الشعر الأندلسي: ص ٢٥٢ - ٢٥٣ / عصر ملوك الطوائف رسالة مضرورية على الآلة الكاتبة.

(٥) جذوة المقتبس: ج ١ ص ٣٢٩ ترجمة (٤٢٦).

(*) خلف بن هارون القطيني: اديب شاعر، لقي ادريس بن البيان وغيره.

وكان بعض أمرائهم إذا قصد غزوة عقد لواء بجامع قرطبة ويجعل سيره إلى الغزوة الجامع^(١)، وهذا يدل على عمق الإيمان والتقوى اللذين هما أساس الشجاعة وإحراز النصر.

وشعراء ذلك العصر لم يكونوا من عامة الناس فيقطع المؤرخون والنقاد أن يستمعوا لهم ويحكموا على شاكلتهم يتحدثون بها في غزواتهم ويتغنون بها في مجالسهم^(٢). ويعدُّ الأندلسي (ابن حرب) وهو الشجاع الذي تعود الحرب وألفها^(٣).

٤ - مظاهرها :-

إن كثرة الحروب أبان عصر الطوائف والمرابطين وتسجيل الملاحم البطولية التي كانت منبعاً ثراً لقول الشعر المتميز بالتعبير الصادق والحماسة المتوهجة والأساس المرهف. وكثيراً ما واجه الشاعر المعارك بالبشر والحبور وطلاقة الوجه منبعثاً من الإيمان والعقيدة الراسخة بعدالة القضية ووحدة المصير وإحراز النصر على الأعداء، هذا وقد تهلل وجه المعتمد بن عباد بالطلاقة في حين تهجم الردى عند صولة الموت وهو من أخرج اللحظات في النزال. يقول ابن زيدون^(٤).

جَذَلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَغَى - مُطَلَّقُ وَجْهًا إِلَيْهَا، وَالرَّدَى مُتَجَهِّمُ
بَأْسٌ كَمَا صَالَ الْهَزِيرُ، إِزَاءُ جُودٌ، كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخَضِرُ

ومن مظاهرها إذلال الأعداء وتنكيس رؤوسهم فيخرون ساجدين سجود الأذلاء الصاغرين.

تَخْرُ رُؤُوسُ الْعَدَى فِي الْوَغَى لَهَا سُجْدًا، يَالَهُ مِنْ سَجُودٍ^(٥)

(١) انظر مطالع البدور في منازل السرور : ص ١٢٥.

(٢) انظر د. متولى حميد: قضايا أندلسية: ص ٣ - ٤ / ط ١٩٦٤.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ص ١٦١.

(٤) الديوان: ص ٢١٦.

(٥) ديوان ابن حديس: ص ١١٥.

ومن مظاهرها الاهتمام بالخيـل وأسماؤها وأنواعها وذكر صفاتها ووصف ما تعرضت له من مشاق المعارك ومناعبها. ومما قيل في مدح المعتمد بن عباد بعد معركة الزلاقة^(١):-

خَذَفِي عَزَائِمَكَ الَّتِي تَرَكْتُهُمْ خَبَرًا مَعَ الْإِيَّامِ لَا يَسْتَفِيرُ
بِالْخَيْلِ تَحْتَ اللَّيْلِ يُسْرَحُ حَوْلَهَا فِي كُلِّ ذَابِلَةٍ سِنَانُ أَزْهَرُ
وَتَلُوكُ مِنْ فَقْدِ الْقَضِيمِ شَكَايَا تَنْتَهَى بِهَا أَفْوَاهُهُنَّ وَتُؤَمَّرُ
عَرَكْتَ أَدِيمَ الْأَرْضِ تَحْتَ حَوَافِرِ صَخْرُ الْبِلَادِ بِوُطْئِهِنَّ مَسْخَرُ

ولعل صور غبار الخيل دلالة واضحة على شراسة الحرب وقوة المعارك وعنوان للبطولة ومظهر من مظاهر الشجاعة وحب القتال وتجشم العناء^(٢).

يُرْدَى الْمَدَجَجُ ، وَهُوَ غَيْرُ مَدَجَجٍ كَمْ دَارِعُ أَرْدَاهُ رَمَحُ الْحَاسِرِ
فِي جَحْفَلٍ يَغْشَى الْوَقَائِعَ زَاحِفًا بِسَمَاءٍ أَجْنَحَةٌ وَأَرْضٍ حَوَافِرِ
وَعَجَاجَةٌ كَسَحَابَةٍ مُلْتَفَّةٍ فَوْقَ الرُّؤُوسِ عَلَى بُورِقِ بَوَاتِرِ
وَكَأَنَّ جُرْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ حِمَاتِهَا عَقَبَانِ جَوْ جُنَجٍ بِقَسَاوِرِ

وبحثهم عن السيوف الهندية الصقيلة وعوالى الرماح الرديئة كان هو الآخر مظهرًا من مظاهر الشجاعة لما له من كبير أثر في الفتك بالأعداء والطعن بهم في ذلك. يقول ابن حمد يس^(٣):-

(١) المصدر نفسه: ص ١٩٦.

(*) القضيـم: ما تقضمه الدابة من الشعر وغيره - الشكيمة الحديدية المعتوضة في فم الفرس وجمعها شكائم. انظر لسان العرب مادة (قضم). وانظر في الغرض ذاته ديوان ابن حمد يس: ص ٩٢ قصيدة في مدح الرشيد عبيد الله بن المعتمد. وانظر ديوان الأعمى التطليل في مظاهر الشجاعة (الاهتمام بالخيـل).

(٢) ديوان ابن حمد يس: ص ٢١٠.

(٣) م ن: ص ١٧٠.

كأنَّ أجفائهُ فى الحرب قد وردت مع الدماء من الهندى ما وردا
لشدّة البأس فى يمينه ضربته إن أسكرَ السيفُ منها بالنجيع شدا
وللردىنى يَوْمَ الطعنِ عاليه تلوكُ بين حشا الضرغامِ الكبدا

ولقد لعب السيف فى يد البطل ادريس بن يحيى أمير غرناطة كما تعلق المخاريق
فى أيدي أصحابها قال ^(١) أبو زيد عبد الرحمن الأشبوني (ت ٤٣٤ هـ).

لَعِبْتُ أَشْيافَهُ عَارِيَةً كمخاريقَ بأيدي اللاعين
ولصوت الرعد زجر وحنين ولقلبي زفارات وأنين

أما عبد الرحمن البلنوبى فقد ظهرت معالم البطولة واضحة بتطايير هامات
اعدائه بعد ان سل حسامه المصقول قائلاً ^(٢):-

بطل إذا خرط الحسام تطايرت هام العدى عن صفحة المصقول

وفى وصف الرمح ^(٣) قال الأعمى التطيلي:-

طَوِيلُ نِجَادِ السيفِ ماضٍ غراره ألا قلبه أمضى ويمنّاه أطول
ولدن مهز الرمح رحب مجالِه وقد ضاق ذرع الموت فيما يحمل

وهكذا أشاروا إلى بعض السيوف المشهورة التى تقاتل به الشجعان.

والسابري مضاعفا والسمهر ي مثقفاً والمشرفى مشطباً ^(٤)

(١) انظر الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٧٩١. وانظر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة: قصة الأدب فى الأندلس: ج ٢ ص ٨.

(٢) الديوان: ص ٢٧ وانظر ص ٢٣. والذخيرة م ٢ ق ٣ ص ٥٩٠. وديوان ابن الزقاق ص ٩٠، والحماسة المغربية: ج ٢ ص ١١٩٩ - ١٢٠٠ (ذكر القنا) وقول أبو الفضل بن شرف (٥٣٤ هـ) وديوان ابن شهيد ص ١١٤.

(٣) الديوان: ص ١٢٨.

(٤) شعر ابن اللبانة الدانى جمع وتحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد: ص ١٥.

(*) المشترب: الضامر من الخيل.

والجيش فى ظل اللواء مؤيد والخيل فى وهج الكريهة شُزبا

وكان لوصف الجيش وكتائبه وسراياه مظهر من مظاهر الشجاعة^(١) وصور
للبطولة الحية التى أبدأها العرب فى الأندلس.

يَعْمُرُ الْحُبُّ بِجَيْشٍ أَرْضُهُ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ حَمْرَاءُ الْأَدِيمِ
يَقْتَضِي الذَّمُّ مِنَ الذَّمْرِ رَوْحُهُ فَالذَّمُّ غَرِيمِ

وليس شرطاً أن تكون الشجاعة فطرية على الرغم من أن بعضهم جبل شجاعاً
على الفطرة^(٢).

(١) انظر ديوان ابن حمد يس: ص ٤٥٠ - ٤٥١ وما ذكره فى الجيش والسلاح / ص ١٤٦ - ١٥٣ - ١٦١ - ٢٦٧ - ٤٥٠ وانظر صوراً للبطولة والتضحية والفداء فى ديوان ابن دراج ص ٧٧ - ٧٨. ويتيمة الدهر: ج ٢ ص ١٠٨، وديوان ابن عمار، ص ٢٠٠ وهناك قصائد كثيرة عززت فيها صور التضحية والفداء منها فى البديع فى الربيع: ص ١٤٦ - ١٤٨، الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٥٧، الخريدة: ج ٢ ص ٩٩، الروض المعطار: ص ١٤٦ - ١٤٨، ص ٤٩، وازهار الرياض ج ٣ ص ١١٩، وديوان ابن حمد يس: ص ٣٧٧ - ٤٢٦ - ٤٢٧، القلائد: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) انظر ديوان ابن حمد يس: ص ٤٤٧.

obeikandi.com

((الفروسيّة))

١- التعريف بالفروسيّة.

٢- الألفاظ الخاصة بالفروسيّة.

obeikandi.com

التعريف بالفروسية:

الفِرَاسَةُ والفُروسَةُ والفُروسِيَّة^(١): وهى الحذق بأمر الخيل وركوبها والثبات عليها والتعرف على أحوالها - وهى المعنى الحسى الأول للمعانى المتفرقة.

والفُروسِيَّة مظهر من مظاهر الحياة تنشأ نتيجة عوامل اجتماعية وأخلاقية وحرية معينة تتطور وفق أساليب حيوية شاملة، وقد ساعدت على تطوره فطرة عربية سليمة وجدت المثل السامية الحقيقية وهدفها الذى تسعى إليه^(٢).

فهى نوع من الأخلاق يتميز بها الفرد لتحقيق غاية تتصل به أو بغيره لإيصال الخير إلى الغير بإرادة مخلصه. وهذا فيصل حاسم بين السلوك الأخلاقى وغير الأخلاقى. فالدفاع عن الوطن والدين واجب اجتماعى مسئول عنه كل فرد قادر على الدفاع.

ولعل يوم (الجمعة) الذى بدد الله فيه شمل الطاغية أذفونس* مثلت الصيد من الفرسان وفيه قال يوسف بن عبد الصمد مادحا المعتمد بن عباد^(٣):-

ذَلَّتْ لِعَزَّتِكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ	يَا مَنْ إِذَا نَقَصَ الزَّمَانُ يَزِيدُ
وَفَتَحَتْ بَابَ الْغَرْبِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ	وَيَلْفَتَ أَقْصَاءَ فَأَيْنَ تَرِيدُ
هِيَهَاتَ لَا يَمُضُ لِحَقِّكَ شَاهِدٌ	يَوْمَ الْعَرُوبَةِ شَاهِدٌ مَشْهُودٌ

(١) انظر معجم مقاييس اللغة: ج٤ ص ٤٠٥ وتاج العروس ج٤ ص ٣٠٦ والمخصص: ج٢ السفر السادس ص ١٣٥.

(٢) الدكتور نوري حمودى القيس: الفروسية فى الشعر الجاهلى: ص ٢٥.

(*) اذفونس: قائد الاسبان فى معركة الزلاقة التى حدثت (٤٧٩ هـ) بين العرب والاسبان.

(٣) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٨١٥-٨١٦.

يَوْمُ تَوَاصَلْتَ التَّرَائِبَ وَالْقَنَا فِيهِ وَعَانَقْتَ الْأَسْوَدَ أَسْوَدُ
وَالشَّمْسُ مَرَّهَا الْجَفُونِ كَلِيلُهُ وَالْجَوُّ مَغْبَرُ الذُّرَى مَسْدُودُ
الْخَيْلُ قَدْ نَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا وَالرُّومُ زَرَعَ وَالرُّؤُوسُ حَصِيدُ

وكانت القبائل عندما تنشب الحرب تقدم نصيبتها من المشاة والفرسان والسلاح والمؤن^(١). ومنهم من حمل نفساً مقدسة مباركة فعند مشاركته للنزال أستطاع أن يهزم جيشاً برمته لكونه رجلاً قد جرب التطاحن^(٢):-

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونِ النَّقِيَّةِ بَازِلٍ
كَغَيْلٍ بِأَنْ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُغْرَدًا
يَسْرُكُ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً
وَيَرْضِيكَ فِي النَّادَى إِذَا اغْتَمَّ وَارْتَدَّى

وقد أفرزت الفروسية رجالاً حاذقين في أمورها في ذلك قال أبو بكر احمد الأبيض (ت ٥٣٠ هـ)^(٣).

أَصَاخَتِ الْخَيْلُ آذَانًا لَصْرُخَتِهِ وَارْتَاعَ كُلُّ هَزِيرٍ عِنْدَمَا عَطَسَا
تَعْلَمُ الرِّكْضَ أَيَّامَ الْمَخَاضِ بِهِ فَمَا امْتَطَى الْخَيْلُ إِلَّا وَهُوَ قَدْ فَرَسَا
بعد أن أصبح الأندلسي في عصر المرابطين من المحتم عليه أن يظل متأهباً للحرب لأن الحرب من قوام حياته. وهى منهج أتخذه وسار عليه. هذا ما دعاه الى ارتداء الدروع وإشهار السيوف قال ابن بقى القرطبي (٥٤٢ هـ)^(٤).

(١) يوسف أشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين: ص ٢٤٤ ترجمة محمد عبد الله عنان.
(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٤٧٦ وانظر نظيره في م ن: ص ٤٦٦.
(٣) المغرب في حلى المغرب: ص ١٢٨ ترجمة ٤٤٢، الطبعة الثالثة (القاهرة) * كان من فحول شعراء المغرب المذكورين بالسيف والشعر والأدب، ذكره ابن دحية في المطرب. وانظر الخريدة: ج ٢ ص ٦٧٠.

(٤) شعر ابن بقى القرطبي: ص ١٣١ م ١/ ١٩٧٨.

يَوْمُ تَوَاصَلْتَ التَّرَائِبَ وَالْقَنَا فِيهِ وَعَانَقْتَ الْأَسْوَدَ الْأَسْوَدُ
وَالشَّمْسُ مَرَّهَا الْجَفُونِ كَلِيلُهُ وَالْجَوُّ مَغْبَرُ الذَّرَى مَسْدُودُ
الْخَيْلُ قَدْ نَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا وَالرُّومُ زَرَعَ وَالرُّؤُوسَ حَصِيدُ

وكانت القبائل عندما تنشب الحرب تقدم نصيبها من المشاة والفرسان والسلاح
والمؤن^(١). ومنهم من حمل نفساً مقدسة مباركة فعند مشاركته للنزال أستطاع أن
يهزم جيشاً برمته لكونه رجلاً قد جرب التطاحن^(٢):-

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونٍ النَّقِيَّةِ بَازِلٍ
كَغَيْلٍ بَأَنْ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُغَرِّدًا
يَسْرُكَ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً
وَيَرْضِيكَ فِي النَّادَى إِذَا اغْتَمَّ وَارْتَدَّى

وقد أفرزت الفروسية رجالاً حاذقين في أمورها في ذلك قال أبو بكر احمد
الأبيض (ت ٥٣٠ هـ)^(٣).

أَصَاخَتِ الْخَيْلُ أَذَانًا لَصْرَخَتِهِ وَارْتَاعَ كُلُّ هَزْبٍ عِنْدَمَا عَطَسَا
تَعْلَمُ الرِّكْضَ أَيَّامَ الْمَخَاضِ بِهِ فَمَا امْتَطَى الْخَيْلُ إِلَّا وَهُوَ قَدْ فَرَسَا
بعد أن أصبح الأندلسي في عصر المرابطين من المحتم عليه أن يظل متأهباً
للحرب لأن الحرب من قوام حياته. وهى منهج أتخذه وسار عليه. هذا ما دعا الى
ارتداء الدروع وإشهار السيوف قال ابن بقى القرطبي (٥٤٢ هـ)^(٤).

(١) يوسف أشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين: ص ٢٤٤ ترجمة محمد عبد الله عنان.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٤٧٦ وانظر نظيره في م ن: ص ٤٦٦.

(٣) المغرب في حلى المغرب: ص ١٢٨ ترجمة ٤٤٢، الطبعة الثالثة (القاهرة) * كان من فحول شعراء
المغرب المذكورين بالسيف في الشعر والأدب، ذكره ابن دحية في المطرب. وانظر الخريدة: ج ٢ ص
٦٧٠.

(٤) شعر ابن بقى القرطبي: ص ١٣١ م ١٩٧٨.

الفروسية الموروثة في المجتمع العربي متمثلة بظفرهم. قال أمية بن عبد^(١) العزيز بن أبي الصلت (ت ٥٢٩ هـ).

هِيَ الْعَزَائِمُ فِي أَنْصَارِهَا الْقَدْرُ وَهِيَ الْكَتَائِبُ عَنْ أَشْيَاعِهَا الظَّفَرُ
جردت للدين - والاسياف مغمدة سيفاً ثَقُلَ بِهِ الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْرُ
بالبيض تسقط فوق البيض أنجمهم والسمر تحت ظلال النقع تشتجر

ولم يقتصر دور الفروسية على ميادين الحرب بل أصبح ضرباً من ضروب الرياضة أيام السلم بتشجيع الخلفاء والملوك فكان (الحذق بأنواع الجندية والنفاز في أنواع الفروسية)^(٢) من مظاهر الرجولة. وكان الخلفاء (يقربون من البارزين فرسانهم أو يبالغون في إكرامهم)^(٣) ومنهم من جمع بين فضيلة الكرم والفروسية التي هي (المثل الأعلى للإنسان في حياته)^(٤). فقال^(٥):-

وَصَيْدٌ يَصِيدُونَ الْفَوَارِسَ بِالْقَنَا

إِذَا نَكَلَ الْأَبْطَالُ فِي الرَّوْعِ أَقْدَمُوا ص ٤٠٩

إِذَا فَرَّتْ الْأَبْطَالُ كَرًّا، وَسَيْفُهُ

يُجِلُّ يَمِينَاهُ دَمَ الْعَلَجِ مُحْرَمُ ص ٤١٣

يَضَاعِفُ أَنْ عَدَّ الْفَوَارِسَ عَدْنَا

كَأَنَّ الشُّجَاعَ الْفَرْدَ فِينَا عَرَمَرَمُ ص ٤١٤

وكان يشترط على من يريد الانتماء إلى الفتوة أَنْ يَتَمَسَّكَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَكْرَمَةٍ

(١) انظر ديوان الحكيم أمية: ص ٨٩. وانظر ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء في طبقات الأطباء: ص ٥٠٦

(٢) الاحاطة في أخبار غرناطة: ج ١ ص ٤٦٢.

(٣) ابراهيم محمد الغمام: الخيل والفروسية عند العرب. مجلة العربي ص ٩٣ عدد ٥٣ لسنة ١٩٦٣.

(٤) سعيد الديوه جي: الفتوة في الإسلام ص ٣٢. المطبعة الكلدانية، الموصل ١٩٤٠.

(٥) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٠٩، ٤١٣، ص ٤١٤. (قال يمدح أهل سرقوسة).

ويتجنب كل ما من شأنه أن يحطّ من كرامة الفرد. واتضحت لنا معالم الشعر الفروسي وحدوده التي انتهى إليها الشاعر (مع ما فيه من صفاء الجوهر، وصدق الشعور وفطرة النفس)^(١) فشعراء الأندلس كانوا أهل غزوّه وغزوات حروب لذا جاءت الفروسية أوسع باباً واسماها نفساً ومثلت حياتهم أصدق تمثيل.

الألفاظ الخاصة بالفروسية:

لقد أعدّ الخلفاء والملوك الجيش إعداداً منظماً بحيث أصبح قادراً على إدارة شؤون البلاد وحمايتها والذود عن حياضها.

وأكثر الشعراء من الألفاظ الدالة على الجيش والحرب والسلاح فضلاً عما استخدموه من الألفاظ العسكرية استخداماً مجازياً. مثل (الجحفل) و (الخميس) و (العسكر) و (الفيلق)^(٢)... وذكر عن يتألف الجيش وهم (الأجناد)^(٣) أو (الجنود) وطوائفهم وأوصافهم (وكان ترتيب المعركة يقوم على نظام خماسي ويتقدم الجيش الجند المشاة ووحدات الفرسان الخفيفة يتكون القلب من وحدات الفرسان المرباطية الثقيلة)^(٤). واستخدم الشعراء الألفاظ الخاصة بمن يتولى أمر الجيش نحو (الأمير) و (القائد) و (العارض)^(٥) الذي يتولى خطة العرض* و (صاحب العسكر) ووحداته العسكرية كالكتائب والكتيبة^(٦).

وكثير من أشعار الفارس الأندلسي تبني على ذكر السلاح^(٧)

(١) بطرس البستاني: شعر الفروسية: ص ١٥.

(٢) صادت حسين كينيچ: لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة دكتوراه، كحلية الآداب الجامعة المستنصرية. بإشراف أحمد نصيف الجناي / ١٩٨٩ / ص ٢٣٥ / ٩٦.

(٣) انظر ديوان ابن عبد ربه: ص ١٨١ - ٢١٠ (الأرجوزة).

(٤) لغة الشعر الأندلسي: ص ٢٣٥.

(٥) المصدر السابق: ص ٩٧.

(*) العرض وظيفة إدارية عسكرية توكل إلى متوليها أمور رواتب الجنود واسلحتهم.

(٦) روضة المحاسن وعمدة المحاسن: ديوان الجزار السرقسطي: ص ١٠٠.

(٧) يقال لمن يصنع الكمرانات وأعمدة السيوف والسكاكين. (الصناع)، انظر السلفي: أخبار وتراجم أندلسية: ص ٢١. وانظر في السلاح شعرا ابن وهب: ص ١١٨.

والسيوف^(١) والرماح^(٢) المشرعة للصلوات على ظهر الخيل^(٣)، والسيوف المجردة للنزول والمجالد والالتحام، ويصف جواده^(٤). والدروع^(٥) والمغافر.. أما الصولة والصارم^(٦)، الطعنة والطعان^(٧)، الهيجاء^(٨)، الوغى^(٩). الجيش^(١٠)، المدجج^(١١). ابن حرب. بنى حرب، فارس حرب، فارس الميدان، الحق^(١٢)، اليقين، غناجيح*^(١٣). وهذه الألفاظ وردت على سبيل المثال لا الحصر وذكرها الشعراء في قصائدهم ومقطعاتهم بينما هناك أمور تخص أدوات^(١٤) الحرب ونعتها ووصفها فلسنا نحن بصدد هذا الآن. ولعل هذه الأبيات التي قالها ابن^(١٥) الزقاق شملت معظم ألفاظ الفروسية الإسلامية التي لا يعرف الفارس فيها البكاء ولا الجزع محولا كل شيء إلى انتصار.

هذا جوادُ أبى شجاعٍ مخبرٌ
إنَّ الجوادَ أنقصَ عنه قتيلًا

- (١) ديوان ابن زيدون: ص ٤٦١. الخريدة: ص ٣٥ - ٣٦. وديوان التظليل: ص ٥٣. وانظر ديوان ابن عمار: ص ٢٩٧، وديوان ابن الزقاق: ص ١١٧، ديوان ابن حمد يس ص ١٤٥.
- (٢) انظر ديوان ابن عمار: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ص ٥٩ (أطراف الأسته) ديوان ابن خفاجة: ص ٣٥٢.
- (٣) ديوان ابن خفاجة: ص ٣٤٤ وانظر الألفاظ الفروسية في المصدر نفسه ص ١٧٧، ١٩٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٤٤، ٣٤٦.
- (٤) ديوان ابن الزقاق: ص ٢٤٣.
- (٥) انظر ديوان ابن زيدون: ص ٤٦١ - ٤٦٦. وديوان المعتمد بن عباد: ص ١٠١.
- (٦) الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ٩٤٤.
- (٧) القلائد: ج ٢ ص ٣٥٢، ص ٥٣، ٨٣، ٩٩، ص ٢٣٠، ص ٣٥٢، ج ١ ص ١٠.
- (٨) المغرب في حلل المغرب: ص ٤٤٣ ترجمة ٦٦٣٠ وانظر المطرب من اشعار أهل المغرب: ص ١٧١.
- (٩) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٨٤، ص ٣٨٥.
- (١٠) ديوان ابن الزقاق: ص ١١٧، ١٨٤ وانظر ديوان ابن حمد يس، ص ١٩٤، ٢٤٧، ٢٦١، ٣٠٠، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٥، ٤٠٩، ٤١٣، ٤١٤، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٨٤، ٤٩٩، ٥٠٨.
- (١١) ديوان الأعمى التظليل: ص ٦١، ص ٢٠٠.
- (١٢) المصدر نفسه: ص ٦١.
- (١٣) غناجيح: جمع مفرد غنوج: وهو الرائع من الخيل.
- (١٤) انظر ما جاء عن الفارس والفروسية في البيان والتبيين: ج ١ ص ١٧٠ - ذيل الآمال ص ٦٩.
- (١٥) الديوان: ص ٢٤٢، ٢٤٣ وانظر الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٩٠.

ولطالما لبس الدروع غللا
وسرى إلى الغارات وهى كتيبة
ولطالما جرّ الرماح ذيولا
ملء الفضاء فوارساً وخيولا
ولعل كتاب (حلية الفرسان وشعار الشجعان) لابن هذيل الأندلسى، من أبرز
ما كتب فى أدب الفروسية شعرا ونثرا.

obeikandi.com

(الجهاد)

أنواع الجهاد

أ- الجهاد بالقول.

ب- الجهاد بالعمل.

ج- الجهاد بالسلح.

obeikandi.com

الجهاد:-

والجهاد في الاصطلاح: هو مصدر من الفعل الرباعى جَاهَدَ يُجَاهِدُ جِهَادًا ومُجَاهِدَةً بمعنى قَاتَلَ في سبيل الله^(١). إذن مفهوم^(٢) الجهاد مرتبط بنشر مبادئ الدين. أو الدفاع عنها، أو في سبيل الدفاع عن الدين وقيمه ومثله العليا. وهو ضرورة الحياة.

أنواع الجهاد:-

الجهاد على ثلاثة أنواع: منها الجهاد بالقول، والجهاد بالعمل، والجهاد بالسلاح.

(أ) الجهاد بالقول:-

كان للشعر دور بارز في مواكبة الجهاد. عبر المسيرة الطويلة في بلاد الأندلس في الذود عن الإسلام والمسلمين ومن أجل إعلاء كلمة اللهورفع راية الإسلام خفاقة عالية.

ولما كان أفضل الجهاد (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فلم يتخلف الشعر عن مواكبة الجهاد سواء أكان إيجابياً أم سلبياً^(٣). وورد في الذخيرة (وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب يضيق عن نصها الخطاب ترغيباً

(١) الحج: ٧٨ "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ".

(٢) انظر الدكتور محمد النوبى: من مفاهيم القرآن والسلوك: ص ٢٠٨ - ٢١٠.

(*) الجهاد لغة انظر الجوهري: الصحاح (مادة جهد) تحقيق أحمد عبد الغفور. مصر. د.ق. وانظر عن الجهاد العسقلاني: بلوغ المرام في أدلة الأحكام: ص ٢٦٦ ترجمة ١٢٨٤.

(٣) د. محمد سلامة: الأدب العربي في الأندلس: ص ٩١ - ١٣٥، الدار العربية للموسوعات وانظر ضحى الاسلام: ج ٣ ص ٩٥.

وترهيباً فوعد المطيعين جزيل ثوابه والعاصين أليم عقابه^(١). ولا يخفى على أحد تميز الأندلسيين عن المشاركة* بالاستنجد^(٢) بملوك المسلمين والفرع إلى الأنقياء والصالحين وحفز الهمم واستنهاض العزائم لإنقاذ البلاد من طواغيت الأعداء.

فكانت أولى الكوارث التي نزلت بعرب الأندلس سقوط مدينة (برشتر***) سنة ٤٥٦ هـ بيد (النور مانديين) إبان عهد الطوائف فكان هذا البحث بمثابة إنذار لحكام الأندلس من مثل آل عباد وآل جهور، تلك الحادثة أثارت شجن الفقيه الزاهد عبد الله بن فرج ابن العسال (ت ٤٨٧)^(٣). لشحن الهمم وطبعت أبياته بطابع الأسى لما تعرض له النساء والأطفال والشيوخ من الأذى.

ولقد رمانا المشركون بأْسْهُم لم تخط ، لكن شأنها الإصماء^(٤) .
هَتَكُوا بِخَيْلِهِمْ قِصُورَ حَرِيمِهَا لم يَبْقَ لَا جَيْلٌ وَلَا بَطْحَاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها فى كل يوم غارة شعواء
كم موضع غلّموه لم يُرحم به طفلٌ ولا شيخٌ ولا عذراء

أما في عصر المرابطين فقد نشط المجاهدون مع نظم الأشعار والحديث عن الجهاد وقيل خلت الساحة (لرجال السيف والقلم)^(٥). كما ازدهر شعر الوقائع

(١) الذخيرة: م١/ق٣ ص ١٧٧. ط ليبيا/ تونس.

(٢) أنظر أدب الاستنجد في الأندلس: بن يوسف مصطفى، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٥.

(***) انظر الذخيرة: م١ ق٣ ص ١٧٩ إيجاز الحادثة بخير بريشتو وسقوطها وانظر د. احسان عباس:

تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ١٧٨ - ١٨٢.

(٣) عمر فروخ: تاريخ الادب العربي: ج٤ ص ٧٠٦-٧٠٧.

(٤) انظر الترجمة في المغرب: ج٢ ص ٢١ وانظر الروض المعطار ص: ٤٠ والشعر في تاريخ الأدب

العربي ج٤: ص ٤٠١ * لم تخط : يقصد لم تخطئ (لم تحد عن هدفها).

أصمى: أصاب مقتلاً. البطحاء: الأرض المستوية. الشعواء: المنتشرة (التي تمتد إلى مكان).

(٥) انظر محمد سليمان الهرنى: دولة المرابطين في عهد على بن يوسف: ص ٣٢٨، دراسة سياسية حضارية/ ١٩٨٥.

الحرية ويمثل هذا اللون من الشعر ابن الخصال وابن الصيرفي والأعمى التطيلي
الذين جاءت أشعارهم صرخات لهما دوى من الوضع العام وخاصة ما بثه التطيلي
في قصيدته^(١):-

فيا دولة الضيم أجميلي أو تجافلي فقد أصبحت تلك العرى والعرائك
ويا قام زيد أعرض أو تعارضني فقد حال من دون المنى : قال مالك

وهذا أبو عبد الله بن صارة الإشبيلي (ت ٥١٧هـ) كان يحب لهم الجهاد
ويذكرهم بقبائل حمير التي خلعت عذارها على حب الجهاد وليس على حب
الحسان. قال^(٢):-

لله أروع من ذوائب حمير راع العداة. فما يعر قرارها
ولفت به أرض الجزيرة عرجه خلعت على حب الجهاد عذارها

وقد خاطب الجزار السرقسطي قومه وحرصهم على الجهاد محبباً لهم الاستشهاد
كما أجمع ابن حمديس الصقلي فيهم نور الإيثار ليرسل بهم نجدة اندلسية يقول
السرقسطي^(٣):

مَتَى كَأَنْتَ دِمَاؤُكُمْ تَطْلُ أَمَّا مِنْكُمْ بِثَارٍ مُسْتَقْلُ
وَيَمْتُمُّ عَنْ طُلَّابِ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّ الْعَزْمَ فِيكُمْ مَضْمَحْلُ

وقد نذر محمد بن عباد بن اسماعيل نفسه للجهاد ساريًا بهيمته إلى سوح القتال
متبعًا الأوائل قائلًا^(٤):-

(١) الديوان: ص ٩١.

(٢) انظر ترجمته في بغية الملتبس: ج ٢ ص ٤٣٨ ترجمة (٨٩٩) والشعر في الخريدة: ج ٢ ق ٤ ص ٢٧٢.

(٣) الديوان: ص ١٨٥.

(٤) انظر ديوان المعتمد بن عباد: ص ٢٨٦ تحقيق رضا السويس وانظر نظيره في الاحاطة في أخبار
غرناطة: ج ٢ ص ١٠٨.

أَجَلَى تَأْخُرَ لَمْ يَكُنْ يَهَوَايَ ذُلَّى وَالْخُشُوعُ
مَا سَرْتُ قَطُ إِلَى الْقَدِّ لِي وَكَانَ مِنْ أَمَلَى الرُّجُوعُ
شَرِيْمَ الْأَلَى أَنَا مِـنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَتْبَعُهُ الْفُرُوعُ

وقد شحذت الهمم بعد نكبة بريشتر للتطوع للقتال فكتب الباجي (ت ٥٠٢ هـ) إلى المعتضد بن عباد قائلاً^(١):-

أَعْبَادَ هَلْ الرِّزْءُ وَالْقَوْمُ هُجِّعُ عَلَى حَالِهِ مِنْ مِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ
خَلَقَ فِرَاعِي مِنْ كِتَابِكَ سَاعَةً وَإِنْ طَالَ، فَالْمَوْصُوفُ لِلطُّوْلِ مَوْضِعُ

ويقول الدكتور منجد مصطفى تكتمل^(٢) صورة الجهاد في القرن الخامس الهجري لدى ابن دراج القسطلي وابن وهبون وابن حمديس^(٣):-

فِي جِهَادٍ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ عِنْدَهُ الزَّلْفَى إِلَى حُسْنِ الْمَأْبِ

وهكذا جاء جهاد القول لاستفزاز النخوة الإسلامية والعاطفة الدينية ليهيئ للجهاد إنقاذ البلاد من الطغيان والظلم والعصيان.

(ب) الجهاد بالعمل:

أهل الأندلس "سُباق حَلْبَةِ الجِهَاد"^(٤) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وَإِذَا أَقَمْتُمُ الْجِهَادَ جَلِبْتُمْ إِلَى حَسَنَاتِكُمْ عَمَلًا غَرِيبًا وَاسْتَأْنَقْتُمْ سَعِيًّا مِنْ اللَّهِ قَرِيبًا"^(٥). وما ترك قوم الجهاد إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَذَابٍ. لذا كان الجهاد متواصلاً

(١) انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك: ج ٢ - ٤ ص ٨٢٥.

(٢) البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف والمراطين ص ٣٦ - ٤٠ حوليات كلية الآداب/ جامعة الكويت/ ١٩٨٦.

(٣) انظر ديوان ابن حمديس: ص ٦٥.

(٤) الحلل السندسية: ج ١ ص ٢٢٥.

(٥) منصور على ناصيف: الجامع لأصول التاج في أحاديث الرسول وعليه غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول: ج ٥ ص ٣١/ دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

على حد تعبير عبد الحميد الترجس فقد طالبَ براحة الخيل والمهند بعد عناد الجهاد قائلاً^(١):

أريحْ متن المهند والجواد فقد تعباً بجِدِّكَ فى الجهاد

وفى جهاد العمل قال أبو بكر بن سوار^(٢):

فى كلِّ عامٍ غزوةٌ مبرورةٌ تُرْزى عديد الروم أو تُغْنيه
تصلُ الجهادُ إلى الجهاد مَوْفَقاً حَتَمَ القضاء بكلِّ ما تقضيه

ويبدو جهاد العمل عند أبى رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) الحج الذى هو أحد ألوان الجهاد لتوفيقه بين إثابة الأجر ونيل مغنم الدنيا يقول^(٣):

ورحت بحج كالجهد لأننى جمعتُ به ما بين أجرٍ ومغنم

ومنهم من حرّض على جهاد العمل والنهوض به لإزالة الظلم والظير والعار والإطاحة بالبرابرة الذين أفسدوا حال الرعية يقول الأمير عبد الرحمن محمد^(٤) بن عبد الملك (الذى لقب نفسه بالمرتضى)^(٥):-

قَدْ بَلَغَ فِيْنَا ، بَنَا ، ما أَفْسَدَ الْأَحْوالَ وَالنَّظْمَا
كَالسَّهْمِ لِلطَّائِرِ ، لَوْلَا الَّذِى فِيهِ مِنَ الرِّيشِ لِمَا أُضْمِى
قَوْمُوا بَنَا فى شَأْنِهِمْ قَوْمِهِ تَزِيلُ عَنَّا الْعَارَ وَالرَّغْمَا
أَمْ بِهَا نَمْلِكُ أَوْ لَا نَرى ما يَرْجِعُ الطَّرْفُ بِهِ أَعْمى

(١) الخريدة: جـ ٢ ص ٤ تحقيق على عبد العظيم.

(٢) الذخيرة: م ٢ ق ٢ ص ٨٣١ من شعراء اعتمد بن عباد.

(٣) الديوان: ص ١٨٠.

(٤) انظر الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٥٣ وما بعدها.

(٥) انظر الدكتور أ. رنيكل: مختارات من الشعر الأندلسي: ص ٤٨، دار العلم للملايين بيروت/ ط ١/

١٩٤٩. (*) حكم الأمير فى عصر الطوائف.

والأدب العربي ملئ بالحث على السعى فى مناكب الأرض لتحصيل الرزق والإقدام فى المهمات العظيمة ومنهم من أثر الانشغال فى الجهاد وكان شغله الشاغل ضد الخصوم والأعداء وتبرز هذه المآثر فى قصيدة القيروانى الذى مدح بها أحمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة وفيها يقول^(١):

فأثرت العوالى فى المعالى وأثرت الصلادم فى الصلاد
كأن سيوفك الأقدار تجرى بما شاء الاله على العباد
تشاغلن الملوك بمن دهاها وشغلك فى جهاتك بالجهاد

وقال أبو بكر بن الوليد الطرطوشى فى الذين جعلوا صالح الاعمال مستقرا لهم:-

إنَّ لله عــــبــــاداً فطــــنــــا طلقوا الدنيا وخافوا الفــــتــــنا
فكروا فيها فلماعلــــموا أنها ليست لــــحى ووطنــــا
جعلوها لــــجــــة واتخذوا صالح الأعمال فيها ســــفــــنا

كما اتضح فى شعرهم الجهاد فى سبيل الله، وابتغاء مرضاته والفوز بجناته.

ج) الجهاد بالسلاح:-

اتخاذ العدة والقوة من المثل الانىسلامية التى دعا إليها الدين الحنيف جميع المسلمين ليكونوا قادرين على الدفاع عن العرض والشرف والمال. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢).

(١) انظر ابا الحسن القيروانى: ديوان المتفرقات ص ١١٧.

(*) احمد بن هود الملقب بالمقتدر حكم سرقسطة (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ). وكان أشد اخوته اطماعاً وانشطتهم إلى انتزاع ما بأيدهم. انظر دول الطوائف: ص ٢٦٢، ونظيره فى ديوان ابن الرقاق البلسنى: ص ٢٦٧.

(٢) الانفال: ٦٠.

وقد عرض الشعر الأندلسي لهذا اللون من الجهاد وتطرق اليه شعراؤهم ومنهم أبو عبيد الله البكري (ت ٤٨٧ هـ). وساق له ابن بسام بضعة أبيات من المعتمد عندما أجاز البحر مستجيراً بأمر المسلمين وناصر الدين قائلاً^(١).

يهون علينا مركب الفلك أن يرى محيّا القلا لما نبا مركب الجرد
فجرنا أجاج البحر نبغى زلاله وذقنا جنى الشريان نبغى جنى الشهد
يذكرنا ذاك العباب إذا طمى ندى كفك الهامى على القرب والبعد
لقد خص الله الأندلس بهذه المرتبة التى تضارع فيها ما أعده الله لعباده من الجنان
يوم القيامة لكونها بيثة جهاد ومقارعة أعداء... هذا ما نراه فى أشعار ابن خفاجة
الأندلسي^(٢).

ويزخر ديوان ابن حمد يس بشعر الحث على الجهاد وحمل السلاح دفاعاً عن الأندلس وحدودها وعزة أهلها^(٣) وفى الجهاد بالسلاح قال ابن زيدون^(٤) يحض المعتمد على قتل الأعداء.

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَلَى الْأَعْظَمُ اقْطَعْ وَرِيدَ كُلِّ بَاغٍ يَنْثُمُ
وَأَخْسِمْ بِسَيْفِكَ دَاءَ كُلِّ مُنَافِقٍ يُبْدِى الْجَمِيلَ وَضْدَ ذَلِكَ يَكْتُمُ
وهكذا اندفع الشاعر* نحو الجهاد بدافع الإسلام، فقد مثل قضية وتجربة، لا لكونه مسلماً بل لكونه أرضه دنسها الطامعون فمثلت قصائده روح الإباء والاستنفار والحض على الجهاد وكانت أمنيته حلول منيته لأن جهاد كان لتحقيق قيم سامية ومثل عالية.

(١) الذخيرة ق ٢ ص ٢٣٨.

(٢) انظر الديوان: ص ٢٥١-٢٥٢، وص ٣٥٢.

(٣) انظر الديوان: ص ٥٢، ١١٦، ٢٥٦، ٤١٦، ٤١٧، وانظر واقعة الزلافة د. مصطفى بهجت: مجلة أداب المستنصرية: ٩/١٩٨٤.

(٤) الديوان: ص ٣٠٦.

(*) انظر الرسائل فى تفضيل الجهاد على الحج (النفع: ج ١ ص ١٨٦ - ١٩٠).

obeikandi.com

(اقتحام الأهرام)

obeikandi.com

التعريف بـ(اقتحام الأهوال)

هو جهد عالٍ يتوخى تحقيق غاية أو مصير الإنسان في الأرض بأن يسعى في هذه الحياة إلى التكامل فتبدو قيمة اقتحام الأهوال مثالية واقعية عقلية. وطبيعية معاً، وتظهر فيها العفوية والسذاجة التي تستدل عليها ظواهر خاصة بها مثل الارتكاس والغريزة والعواطف الهوجاء^(١).

ويتطلب من مقتحم الأهوال نوع من شجاعة الفعل. متخطياً شجاعة القول متجنباً الاستكانة والذل عازماً جازماً ركوب الصعاب.

وربما يتبادر إلى الذهن أن اقتحام الأهوال خلق بعيد عن الحضارة المثالية والمدنية. لكن هذا ينبغي أن يقاس بما تحققه القيمة من منفعة وخير. وقد لا تقتصر على نفسه بل تتعدى إلى المجتمع أيضاً.

خاض الأندلسيون غمار حروب طاحنة فأكثر الشعراء من الوصف خصوصاً وصف السفن والأساطيل الحربية. يقول ابن الخداد في حركة السفينة وهي تخوض معركة حربية مظفرة وكانت من نوع الحراقات التي تقذف اللهب^(٢).

هَامَ صَرْفَ الرَّدَى بِهِامِ الْأَعَادَى إِنْ سَمَتْ نَحْوُهُمْ لَهَا أَجْيَادُ
حُمَمٌ فَوْقَهَا مِنَ الْبَيْضِ نَارُ كُلٌّ مَنْ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ رِمَادُ

ويبدو أن المعتمد بن^(٣) عباد قد اقتحم أهوال السلم والحرب وتمنى أن يذوق طعمها الأعداء.

(١) انظر الدكتور عادل العوا: دراسات أخلاقية، جامعة دمشق، ص ١٠٥ - ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

(٢) انظر شعر ابن الخداد: ص ٥٢.

(٣) الديوان: ص ٩٥، طبعة مغايرة، رضا السويس.

يَالَيْتَ حَرْبًا ذَاقَ الْأَعَادَى طَعَمِينَ مِنَّا وَسُوءًا؟
هَذَا إِذَا مَا نَاشَبُوهُ حَرْبًا وَذَا إِذَا اسْتَوْهَبُوهُ سُلَامًا؟

وعند المنازلة والاقترحام واشتباك الجنود والتحام الأجسام المقطعة الرؤوس يقف ابن جاح اليطليوس (ت ٤٨٠ هـ) واصفاً تأجج نار الحرب مادحاً المعتمد بن عباد قائلاً^(١):-

مَلِكٌ إِذَا أُضْهِمَتْ نَارُ الْوَغَى وَتَلَاَقَتِ الْأَجْنَادُ بِالْأَجْنَادِ
فَتَرَى الْجُسُومَ بِلَا رُؤُوسٍ تُنْثَى وَتَرَى الرُّؤُوسَ بِلَا أَجْسَادِ

ومنهم من أُلْجِئته الضرورة لركوب البحر على الرغم من مخاطرة لكن للضرورة أحكام كما يقال^(٢). وقد دلل المنصور بن أبى عامر على علو الهمة ومضاء العزيمة فى اقتحام الأهوال حين قال مفتخراً^(٣).

رَمَيْتُ بِنَفْسٍ هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ وَالْحَرَّ الْكَرِيمَ يَخَاطِرُ
فَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ وَفَاخَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَفَاخِرُ

ومثلما اقتحموا المعارك البحرية التى جاءت سجالات بين أسطولين كبيرين. خاضوا^(٤) المعارك البرية ذاكرين تدمير المدن الذى كثر قول الشعراء الأندلسيين فيها نظراً لكثرة الحروب التى خاضها الحكام.

(١) تاريخ الأدب العربى: ج٤ ص ٦٥٤. وردت له ترجمة فى جذوة المقتبس: ج٢ ص ٦٤٠ ترجمة (٩٦٤). وبقية الملتبس: ج٢ ص ٧١٨ ترجمة (٥٦٩) ولم يرد فيها الشعر.

(٢) النفع: ج٤ ص ٢٧١.

(٣) النفع: ج١ ص ٤٠٠. وانظر أحمد ملا فريح وعبد الجليل خليفة: الاكيد الأندلسى: ص ١٦ ط/ ١٩٤١.

(٤) انظر مصطفى الشكعة: الادب الأسرائيلى موضوعاته وفنونه: ص ٤٨٤، دار العلم للملايين، بيروت.

ومنهم من ارتقت نفسه صعب الأمور مقتحماً خطوبها لنيل مكرمات المجد كما
قال خلف بن هارون القطيني^(١):

يَخْوضُ إلى المجدِ والمَكْرَمِ تَحَارَ الخطوبِ وأموالها
وإنْ ذُكرتْ للعلى غاية ترقى إليها وأفوى لها

وهذا أبو عبيد البكري^(٢) (ت ٤٨٩ هـ) نجده صابراً على أهوال البحر وأجاجة
منتظراً منه الزلال والشهد.

بينما وصف ابن وهبون المرسى تجحفل الأسود الذين اتجهوا في خيلاء لقتحام
الأهوال البرية قائلاً^(٣):-

جيش فوارسُه بيض كأنَّصله وخيله كالقنا عَسَالَةٌ ذُبُل
يمشى على الأرضِ منهم كُلُّ ذِي مَرَحٍ فأنما التَّيْهُ فى أعطافه كَسَلُ

في حين اثنى ابن زيدون على بنى عباد في اقتحام الأهوال مع إشراقة الوجه
ورحابة الصدر^(٤).

وَلَمَّا قَدِمْتَ الجِيشَ بالأمسِ أشرقتُ اليك من الآمالِ آفاقها الغبرُ
أَلَسْتُ الذى إنْ ضَاقَ دُرْعُ بِمَآدِثِهِ تَبُلَّجُ مِنْهُ الوجْهُ واتسع الصَّدْرُ

أما أبو إسحاق الإلبيري^(٥) فقد عبّر عن أهوال عذاب القبر وما يلقاه الانسان
بعد الرحيل.

(١) انظر بغية الملتبس: ج ١ ص ٣٦٠ ترجمة ٧٢٢.

(٢) انظر بحث الدكتور مصطفى بهجت: البحر في الشعر الأندلسي ص ٤٧٨.

(٣) انظر شعر ابن وهبون المرسى: ص ٥٠.

(*) خلق بن هارون القطيني: أديب شاعر. نخب ادريس بن البيان وغيره من الشعراء.

(٤) انظر ديوان ابن زيدون: ص ٥٧٢ - ٥٧٣.

(٥) ديوان الإلبيري: ص ٤١، تحقيق محمد رضوان الداية.

وَإِذَا أَتَيْتَ قَبْرَهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا لَقُوا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ
فَسِيخْبِرُونَكَ إِنْ فَهِمْتَ بِحَالِهِمْ بِعِبَارَةٍ كَالْوَحْيِ لَا بِمَقَالِ

وهكذا دفعتهم الشَّيم والفضائل إلى اقتحام الأهوال وخوض المعارك بدهاء
وبراعة في البر والبحر وازناً الفضائل في ميزان الإسلام لتحقيق آمال وطموحات
المجتمع تارة، واستنهاض الهمم وتحقيق الأمانى الذاتية تارة أخرى.

وقد أعطى صورة واضحة لاشتداد الوطيس واصفاً جحافل الجيش مؤمناً
بنصرة القيم مع الحفاظ على روح الشجاعة والصبر، بعد ركوبه الأهوال كل مركب
وتجشعه صعب الأمور.

(العفو عند المقدرة)

١ - العفو في اللغة.

٢ - معاني العفو في المجتمع الأندلسي.

أ - العفو عن المسيء.

ب - الصفح عن الزلات.

obeikandi.com

العفو في اللغة:-

الصفح وترك عقوبة المستحق^(١). قال تعالى "وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"^(٢).

وعند المال ما يفضل عن النفقة، ويقال: أعطاه عفو ماله يعني أعطاه بغير مسألة. وعفا عن ذنبه أى تركه ولم يعاقبه^(٣).

والعفو في الاصطلاح: جاء على المعانى اللغوية السابقة فقد استعمل القرآن الكريم لفظة (العفو) بمعنى الفضل في المال في الصدقة. قال تعالى "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْو" (٤) بمعنى الفضل من أموالهم والزيادة.

ومنها العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدين والسنة^(٥). فالعفو عفو عن الهفوات صغائرها وكبائرها. والمسامحة في الحقوق سواء أكانت حقوق أحوال أو حقوق أموال، وقد يتنازل صاحب الحق من طلب المعاقبة بعفو عن المعتدى^(٦).

معانى العفو في المجتمع الأندلسي

خرجت معانى العفو في المجتمع الأندلسي إلى ثلاثة معان هي:-

(أ) العفو عن المسيء. (ب) الصفح عن الزلات. (ج) مقابلة السيئة بالحسنة.

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط. مادة (عفو).

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: مادة (عفو) دار صادر، بيروت ١٩٥٢.

(٤) البقرة: ٢١٩.

(٥) انظر أبا البركات الغزني: آداب العشرة وذكر الصعبة: ص ٤٨، ص ٥٦.

(٦) أنوار المظفر: التربية الاخلاقية في القرآن الكريم: ص ٢١٠ - ٢١٤. رسالة ماجستير كلية الشريعة/

١٩٨٦.

والمجتمع الأندلسي مجتمع له قدرات متفاوتة ومعايير أخلاقية متمثلة بالإنسانية. فلا بد أن يجد في رحاب الفضائل الأخلاقية صدى لقضاياه دفاعاً عن الحق وانتصاراً لمبادئ العدالة، التي تمثلت بقيمة العفو عند المقدرة وكانت جزءاً من عاداتهم وأخلاقهم وثقافتهم فجاء ذلك في أشعارهم وجرى على نحو التفكير الذي كان مألوفاً عندهم، وهذا يدل على علو نفس لا نظير له في عصرهم. وكان من (أخلاق الكرام التآني والعفو عند المقدرة) ^(١).

فقد تحيرت الجارية (أنس القلوب) بأمرها بعد أن أذنبت. لكنها تيقنت من صفح سيدها لذا قال على لسانها أبو المغيرة بن حزم (ت ٤٣٨) ^(٢) شاكياً حالها.

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فكيف منه اعتذاري؟
والله قدر هذا ولم يكن باختياري
والعفو أحسن شيء يكون عند اقتدار

وقد وجد ابن وهبون صواب العفو عند الأسر وبعده عن الخل حين قال ^(٣):-

إذا أسرتم فما في أسركم قنط وإن عفوتم فما في عفوكم خلل

وكثيراً ما وردت أشعار تحكى قصصاً عن العفو عند المقدرة اتضحت جوانبها في أبيات المعتمد بن عباد في الصفح والعفو منها ^(٤):-

وذُبتُ إلّا ذمّاء في يمسكني أنى عهدتُك تعفو حين تقتدر
لم يأت عبديك ذنباً يستحق به عُثبي، وهما هو قد ناداك يعتذر

(١) أنظر مذكرات الأمير عبد الله بربر ص ١٣٨.

(٢) النفح: ج ١ ص ٦١٨.

(٣) انظر الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٤٩٢ وانظر ابن وهبون الأندلسي: صلاح خالص مستلة من مجلة كلية الآداب ع ١٢: ١٩٦٩.

(٤) الديوان: ص ٢١٠ تحقيق رضا السويس.. وانظر نظيره في أزهار الرياض في أخبار عياض: ج ٣ ص ١٦٣، وديوان الالبيري: ص ٣٩.

وكان العفو عند بعضهم شيئا أصيلة وقيماً راسخة وقد ادعى أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) بأن فضيلة العفو حقيقة واضحة وليست بدعة عند المعتضد لكرم أخلاقه وسمو شيمته قائلًا^(١):-

وَتَعَطَّفُكَ الْمَكَارِمُ نَحْوَ أَصْلٍ دَعَاكُمْ رَاغِبًا مِنْ خَيْرِ فِرْعَ
فَإِنْ جُدْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ فَلَيْسَ الْفَضْلُ عِنْدَكُمْ بِبَدْعٍ

وأفضل العفو ما يكون في أوقات الحرج والشدة. وبعد استنهاض الهمم فقد يحصل السائل على ما تمناه مجسداً ذلك عند أبي محمد عبد الله بن يمن الدولة بن قاسم^(٢):

فَهْدٍ إِذَا اسْتَنْهَضَهُ لِلْمَعْرِ أَعْطَاكَ عَفْوًا عَذْوُهُ مَا تَسْأَلُ

أما الإلبيري التجبي فقد كان أشبه بالصادي وقد شفى غليله السراب لولا طمعه في عفو سيده قائلًا^(٣):

لَوْلَا رَجَاءُ الْعَفْوِ كُنْتُ كَنَاقِعِ بَرَحِ الْغَلِيلِ بِرَشْفِ لَمْعِ آلَالِ

وبالدافع نفسه بعث الفهرى المعروف بالاحدب (ت ٥١٥ هـ) سلاماً معطراً بعرف المهل وشذا الورد للذي تفرد بعفوه^(٤).

أ- العفو عن المسئ:

تساوق قيمة العفو مع أهواء النفس التقيّة وتتفق مع ما جاء في تنزيله الحكيم يقول أبو الفضل بن عياض محمد بن وليد المعافري (ت ٤٨٤ هـ)^(٥):

(١) المغرب في حل المغرب: ص ٤٠٨ ترجمة ٦٠٧ تحقيق شوقي ضيف.

(٢) فلاند العقيان: ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣) الديوان: ص ٣٩/ الداية.

(*) الغليل: العطش أو شدته. والآل: السراب.

(٤) فلاند العقيان: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٥) الصلة لابن بشكوال: ج ٣ ص ٨٧٣، ترجمة: ١٣٣٤.

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفَ ثُمَّ ارْغَوَى ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ اعْتَرَفَ
أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي تَنْزِيلِهِ أَنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ

وَرَسَخَ بَعْضُهُمْ قِيَمَةَ الْعَفْوِ حَيْثُ اعْتَادَ عَلَى أَنْ يُجْبَرَ الْكَسِيرُ يَعْفُو عَنِ الْمُسِيءِ
وَمِنْهُمْ ابْنُ زَيْدُونَ^(١):

وَقَدِيمًا أَقْلَتَ الْمُسِيءَ الْعِثَارَ وَأَحْسَنَتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا اجْتَرَمَ

وَكثيْرًا مَا طَمَعَ الْمُسِيءُ بِعَفْوِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ لِشُيُوعِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ بَيْنَهُمْ وَرَبِمَا يَطْمَعُ فِي
الْعَفْوِ عِنْدَ رَمَضَانَ مَقْتَرَفَ الْإِسَاءَةِ فِي شَعْبَانَ كَمَا ظَنَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ
الْيَسْعِ
(ت ٤٩٣ هـ)^(٢):

وإن اسأتُ، فإين عَفَوَ مُجْمَلًا هَبْنِي عَصِيْتَ اللَّهَ فِي شَعْبَانَ
لَوْ زَرْتَنِي وَالْآنَ تَحْمَدُ زَوْرَتِي كُنْتَ الْهَلَالَ أَتَى بِلا رَمَضَانَ

وَعَبَّرَ ابْنُ عِمَارٍ فِي اسْتِعْطَافِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ عَنْ سَمُو الْأَخْلَاقِ وَرَقَى الْأَذْوَاقِ
نَاسِجًا الْعَفْوَ مَعَ التَّسَامُحِ عَلَى مَنَوَالِ مَغْفَرَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ قَائِلًا^(٣).

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحَ وَعُذْرُكَ إِن عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ
وإن كَانَ بَيْنَ الْخَطِيئَتَيْنِ فَرِيسَةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطْمَعُ عِدَايَ وَلَوْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا

(١) الديوان: ص ٤١٦. * أَقْلَتَ حَسَنَ الْعِثَارِ: قَالَ عَثَرْتَهُ: أَنَهَضَهُ مِنْ كِبَوْتِهِ أَوْصَفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ، اجْتَرَمَ
وَأَجْرَمَ أَذْنَبَ.

(٢) الحلة السيرة: ج ٢ ص ١٧٤ تحقيق د. حسين مؤنس وانظر نظيره عند ابن وهبون: مستلة من مجلة
كلية الآداب عدد ١٢/١٩٦٩، مطبعة بغداد ص ٧٠. د. صلاح خالص ونظيره في شعر ابن السيد
البطلبيوسي: ص ١٤١٠ م ٧٧/٦٧ المورد.

(٣) ديوان محمد بن عمار الأندلسي: ص ٣١٩.

وقد ركب المعتمد في بعض الأيام قاصداً الجامع والوزير ابن عمار يسايره فسمع أذان المؤذن فقال المعتمد بن عباد: هذا المؤذن قد بدأ بأذانه.

فأجابه ابن عمار: يرجو ذلك العفو من رحمانه^(١).

المعتمد: طُوبى له من شاهد بحقيقة.

ابن عمار: إن كان عقد ضميره كلسانه.

وقد صفَحَ المعتمد عما بدر من ابن عمار من سيئات وكتب إليه قائلاً^(٢).

تقدّم إلى ما اعتذرت غنّدى من الرّحب

ورِدْ تلقك العُتبي حجاباً مِنَ العُتب

متى تلقنى تلقّ الذى قد بلّوّه

صفوحاً عن الجانى، رؤوفاً على الصّخب

ومن المعارف عليه أن^(٣) الإقدام على العفو خير من الندم على العقوبة) وقد تيقن أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (٥٢٩ هـ) بتغيير الحال فلا بدّ من النعيم والسرور معتقداً ذلك في قوله:-

فإن أكْ مجزياً بذنبى فإننى بحرّ عذاب المذنبين جدير^(٤)

وإن يك - عفوئى ورحمة فثمّ نعيمٌ وسرورٌ

ويتضح من بيت ابن زيدون بأن الأمير أرحب صدرا وأوسع عفواً من أن يسيطر عليه الحمق فيدفعه إلى التعارى في العقاب بعد اعتراف المسئ بالذنب^(٥).

إذا عثر الجانى عقا عقوقا در علا قدره عن أن يلج به حقد

(١) م ن: ص ٢٣٢، وانظر ديوان المعتمد ص ٢٤١.

(٢) ديوان المعتمد: ٥٢ غير رضا السويس وبالشيا: تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٩٢.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس: ص ٣٧٠.

(٤) الديوان: ٨٧ إختلاف رواية (بشر، عقاب)، وفي عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٥٠٤ منشورات دار مكتبة الحياة، تحق نزار رضا/ ط بلا.

(٥) ديوان ابن زيدون: ص ٣٦٠ وانظر نظيره في ص ٣٧٦. وديوان المعتمد ص ٢٠٧.

ب) الصفح عن الزلات:-

وكثر العفو عن هفوات الأخوان في النفس والمال دون أمور الدين والسنة لقوله تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾^(١) وقد نسج ابن عمار على منوال كبار النفوس، في سجية الصفح عن الزلات والتسامح وأسهم في السعى لمرضاة الأصحاب في غفران الذنوب والرافة والرحمة يقول^(٢):-

سأوليك منى ما عهدت من الرضى وأصفح عما كان إن كان من ذنب
وقد ظهرت بجلاء في قول ابن بسام (فالعفو أقرب للتقوى والصفح أدنى إلى
الزلفى ولقيل العثرات عند الله جزاء الحسنى)^(٣). في ذلك قال: محمد بن عمر أبو
الوليد (٥٠٨ هـ)^(٤).

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْمُو سُمُوكَ لِلْعَلَا وَيَعْفُو عَنِ الزَّلَاتِ وَهُوَ قَدِيرٌ
ولما كان العفو نوعاً من تهذيب الضمير والخلق وتوجيه السلوك فقد يقع في
الزلل ذوو العقول الجبارة معترفاً بذلك يزيد بن محمد الراضى أبو خالد (ت ٤٨٤ هـ)^(٥).

فإن كنت ذا ذنب فحسبى عفوكم وقلبي ما زال الرجال ذود العقل
وقد كتب أبو مروان عبد الملك بن أدريس الجزيري (ويقال أن المنصور سجنه
في مطبق الزاهرة مدة، فاستعطفه في الرسائل والأشعار بما أثمر تسريحه؛ فكتب
إليه^(٦)، فسر المنصور بذلك وأعادته إلى حاله وأطلق له ما اعتقد. وكثيراً ما قابل
الملوك هفوات المذنبين وعثراتهم بالصفح والعطاء قال ابن زيدون)^(٧):-

(١) النور: ٢٢ - وانظر آداب العشرة وذكر الصلحة والأخوة: ص ٤٨.

(٢) ديوان ابن عمار: ص ٢٨٠.

(٣) الذخيرة: ق ٣ ص ٢٠٨.

(٤) الحلة السرياء: ج ٢ ص ٢١٠ ترجمة ١٤٣.

(٥) الحلة السرياء: ج ٢ ص ٧٣ ترجمة (١٢٢) وانظر نظيره م ن: ج ٢ ص ٩٤ ترجمة ١٢٧، والمطرب من

أشعار أهل المغرب: ص ٤٠، ص ٨٣، ص ٨٦.

(٦) انظر الديوان: ص ٣٧٦ وانظر نظيره في أعتاب الكتاب: ص ١٩٦.

(٧) ديوان ابن زيدون: ص

إذا عَثَرَ الْجَانِي عَفَا عَفْوَ حَافِظٍ يُنْعَمِي لَهَا فِي الْمَذْنُونِ ذُنَابِ

وقد قيل: (تناس مساوي الإخوان يدم لك ودهم) ^(١) لذا طلب ابن الحداد الوادي آش (ت ٤٨٠ هـ) الصفح عن زلل الأخوة.

سامح أخاك إذا أتاك بزلّة فخلوصُ شئٍ مثلما يتمكن ^(٢)
في كل شئ آفة موجودة إنّ السراج على سناء يدخن

وروى أبو أسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجبي الإلبيري الغرناطي الصفح عن زلل العظيم شيمة العظماء وإذا عوقب فهو أهل للعقاب لكنه كله أمل في العفو عن الزلل.

فإنّ تعاقب فاهل للعقاب وإنّ تَغْفِرَ فَعَفْوُكَ مَأْمُولٌ ^(٣) وَمَتَنَزَّرُ
إنّ العظيم إذا لم يغف مُقْتَدِرًا عَنِ الْعَظِيمِ فَمَنْ يَغْفُو وَيَقْتَدِرُ؟

وقد صدر العفو عندهم عن عزيمة وقوة وحكمة وليس عن ضعف وخوار أما العقوبة فكانت بقدر لا تتجاوز قيمة الحد إلى الظلم والإجحاف في هذا الإطار دار قول ابن زيدون ^(٤):

لَكَ عَفْوُهُمْ يَضِيعُ حَرَامَةٌ وَلَنْ بَطَشْتُ فَبَطَشُ مَنْ لَا يَظْلُمُ

وقد جمع أبو عبد الله بن الحناط ^(٥) الكفيف المتوفى (٤٣٧ هـ) بين الصفح عن المسيء، وإقالة العثرات والزلات في قصيدته التي يرثي أبا الحزم بن جمهور.

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة: ص ١٦.

(٢) شعر ابن الحداد: ص ٨١ وفي بالثيا: تاريخ الفكر الأندلس: ص ١١٢ اختلاف الرواية صافح: منكر.

(٣) انظر المستدرك على مجموع شعر الإلبيري (أبو السحق): ص ١١٧ محمد رضوان، الداية ١٩٧٥.

(٤) الديوان: ص ٣١٧ وانظر نظيره في ديوان ابن عمار: ص ١٦٣ والسلفي أخبار وتراجم اندلسية: ص ٣٢، ص ١٠٤.

(٥) انظر الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٥٠.

يا واحد الدين والدنيا أقل زللاً
لو أنه أعطى الدنيا بما رُحِبَتْ
وما عساكَ سوى الإحسان تصنعه
يدعوك جانبه أن تقتضى أو تدعا
ولم ينل عفوك المأمول ما قنعا
إلى مُسى رجاً عتباك فارتجعا

(السَّماحة)

obeikandi.com

التسامح هو احترام لآراء الآخرين، ويتوقف على الأمور التي يتسامح فيها. قال لسان الدين بن الخطيب (خص الله بلاد الأندلس من الربع - كثرة السلاح، ونيل الأخلاق وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وصنع معدن السباحة)^(١). على أن المجتمع الأندلسي مجتمع يسر وحب وتسامح وابتعاد عن العصبية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً^(٢). والعرب كانوا آية في التسامح وكانوا رحمة وبركة عموماً مدة إقامتهم في الأندلس^(٣). وفي ظل هذا المناخ الذي يشع بالقيم الإيجابية التي غرست في نفوسهم أروع الاتجاهات والتي هدفت إلى تحقيق سماحة الخلق مع سماحة الدين والدنيا (بقصد إعلاء شأن مثل أعلى)^(٤).

إن للمجتمع الأندلسي، حياة تختلف عن المجتمعات الإسلامية الأخرى لقربه من الديار المسيحية واختلاط الأجناس المختلفة داخل مجتمعه فاختلاط الأجناس ومجاورة الديانات بعضها لبعض نجم جو سمح^(٥) اتسم بالروح الإنسانية الشفافة ونتيجة لهذا التسامح المثال اتخذ اليهود والمسيحيون العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم^(٦). في ملابسهم ومطاعمهم* فهذه السجية وجهت

(١) أزهار الرياض في أخبار عياض: ج ١ ص ٦١، ١٤٦.

(٢) م. ن: ص ن.

(٣) أنيس زكريا النصولي: الدولة الأموية في قرطبة: ص ١٥٠ ط ١. المطبعة العصرية بغداد: ١٩٢٦.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي: تحفة المغرب ببلاد المغرب ص ١١ تحقيق فرناندو دي لاجرانخا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٧٤.

(٥) الدكتور سامي مكى الغاني: دراسات في الأدب الأندلسي: ص ٨٨ وانظر د. حكمة على الأوسى: فصول في الأدب الأندلسي: ص ٤٤/٥ ط ١/١٩٨٧.

(٦) د/ عبد الرحمن الحجى: أندلسيات: ص ٢٧ المجموعة الثانية.

(*) وامتنع بعضهم عن أكل لحم الخنزير، ومارس الختان، وهو عادة إسلامية. وفي مخطوطة في مدريد حيث هذه الوثيقة كتبت في أهداء الكتاب إبياتا منها:

سلوك الإنسان إلى نفسه. ونحو خالقه وسيطرت عليه في عقيدته وشخصيته وبقدر ما تتجلى قيم المساحة الإنسانية أو تتجافها يأخذ كل فرد صفته. هذا وقد تحسر ابن عبدون كما تحسرت الدنيا وتأسف الدين على سباحة عمر. فأنشد قائلاً^(١):-

وَيَحِ السَّمَاحُ وَيُوحِ الْبَاسُ لَوْ سَلِمَا وَأَحْسَرَةُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا عَلَى عُمُرٍ

فلو عدنا إلى التاريخ لإضاءة الأدب لعرفنا من وجوب الإستعانة بالشعر لفهم ما دار في حياتهم من تسامح شديد مع الأقليات غير العربية^(٢)، كذلك كان للنصارى حظهم في الحياة العامة^(٣). والخاصة مشاركين فيها من نطاق السباحة التي ظلمت المجتمع الأندلسي وبعده عن التعصب المقيت.

هذا وقد دعا التسامح إلى إدامة تهذيب النفس وتطهير الفؤاد وتغذية القلب والعقل بالمبادئ السامية مبادئ الإباء والأنفة والأخوة فهو أساس النظام التهذيبي، وأساس قواعد الخلق.

والمبادئ الخلقية هي أساس كل شيء. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْمِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فإذا ضعف. بل خلق وصون عن الدنيا. فالدعوة إلى التسامح دعوة إلى الفضل الذي هو سمو النفس الذي لا تشوبه شائبة. ولعل السباحة والساح كانتا شعاراً للمرابطين الذين تلتثموا تصاوناً^(٤).

وتلتثموا صَوْنًا لِرَقَّةِ أَوْجِهِهِ جَعَلَ السَّمَاحُ شَعَارَهَا وَدَثَارَهَا
المنعمين على العفاة أذ شتوا* والناقصين على العدا أوتارها

كتاب لعبد المالك الأسقف النذب جواد نبيل الرفد في الزماني الجذب
انظر تاريخ الفكر الأندلسي: ص ٤٨٤ - ٤٨٥ وانظر أندلسيات المجموعة الثانية: ص ٢٦.

(١) قلائد العقيان: جـ ١ ص ١٣٠.

(٢) انظر دولة الإسلام في الأندلس منذ قيامها حتى الفتح المرباطي: ص ٢٠٣ ط ٣/ ١٩٨٨.

(٣) فصلت: ٣٤.

(٤) الخريدة: جـ ٢ ص ٢٧٣.

(*) شنوا: جدبوا في الشتاء (بشاشة الوجه وطلاقة تدخل أطار السباحة).

أما مذهب ابن حزم في التسامح فقد قال عن لسانه (وإني لأسامح في إخاء كل ذى عيب، وإن كان عظيماً وأكِل أمره إلى خالقه عز وجل، وأخذ ما ظهر من أخلاقه)^(١).

ومن ساحة الأندلسيين إن حَكَمَ الأندلسَ بعضُ أبناء الجوارى من رفيق الأسبان. حيث تطالعا الجارية (أم ولد) في عصر الطوائف أمّا للملوك والوزراء أيضا كـ(حوراء)^(٢) والدة محمد بن عبد الرحمن المستكفى بالله جارية (أم ولد) ووالدة على بن يوسف (أم ولد) رومية^(٣) اسمها (قمر) وكذلك ناشفين بن على.

وبعد هذه النظرة العامة لفضيلة التسامح في هذا المجتمع الذى دخلت من باب الرحمة والمحبة واحترام الآخرين وحقوقهم. عرضت أرفع القيم الحضارية وأسماها في نفوسهم بكل ما يستحق من تقدير في تاريخ البشرية.

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف: ص ١٠٣.

(٢) البيان المغرب: ج ٣ ص ٦٤٠ - وانظر جذوة المقتبس: ج ١ ص ٤٠.

(٣) م ن: ص ن.